أثر موطأ الإمام مالك في تدوين السيرة النبوية

د. بدر إبراهيم أحمد فراج

باحث – مصر

الملخص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، صاحب السيرة العطرة، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فإن السيرة النبوية نبراس لكل مسلم أراد أن يسير إلى الله –عز وجل– في طريق رضاه، بل هي التطبيق العملي لأفضل شريعة بواسطة أفضل الخلق أجمعين ﷺ ومن ثم تأتي أهمية هذا البحث الذي يتناول موضوع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم من خلال مصدر مهم من مصادر تلك السيرة ألا وهو موطأ الإمام مالك إمام دار الهجرة والمقام الشريف المطهر، والدافع للكتابة في هذا الموضوع هو محاولة إثراء الكتابة في السيرة النبوية المطهرة، بلفت النظر والانتباه إلى أهمية كتب الحديث كمصدر صحيح ودقيق من مصادر السيرة النبوية، حيث إن الاتجاه السائد في الكتابة هو الاعتماد على كتّاب السيرة الأوائل دون المحدثين بصورة كبيرة، بحيث تأخذ حيزًا من مساحة الكتابة في السيرة أكبر من المصادر الحديثية، ولم يجد الباحث أفضل من موطأ الإمام مالك رحمه الله تعالى كمؤلف يعد من أوائل ما أُلف في الحديث النبوي الشريف

والذي تناول سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في أبواب مخصصة للسيرة، وفي غير أبواب السيرة.

أولا- أهمية الدراسة:

تتناول هذه الدراسة كتابًا من أوائل كتب الحديث، يعد مصدرًا من مصادر السيرة النبوية التي استفاد منها المحدثون وكتّاب السيرة على حد سواء، ومن ثم كانت أهمية الدراسة التي تسلط الضوء على الموطأ، وتوضيح منهج الإمام مالك- رحمه الله تعالى- في تصنيفه، وكيف أثّر في تدوين السيرة النبوية المطهرة من بعد ذلك.

ثانيًا- أهداف الدراسة:

- توضيح المنهج الذي اتبعه الإمام مالك- رحمه الله تعالى- في تأليفه للموطأ.
- التأكيد على أهمية الموطأ كمصدر من مصادر السيرة النبوية المطهرة.
- إبراز قيمة الموطأ كمصدر من مصادر السيرة النبوية المطهرة استفاد منه كتّاب السيرة من بعده.

ثالثًا- منهجية الدراسة:

يستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، من خلال الرجوع إلى المصادر الأولية، وخاصة موطأ الإمام مالك بروايتي محمد بن الحسن الشيباني ويحيى بن يحيى الليثي، وصحيح

البخاري ومسلم وغيرها، من أجل توضيح كيفية تأثير الموطأ في مثل هذه الكتب وغيرها كمصادر لتدوين السيرة النبوية.

رابعًا– الدراسات السابقة:

إن المصادر الأولية للسيرة النبوية، وكذلك موطأ الإمام مالك، أُلفت فيه العديد من الأبحاث والكتب والرسالات العلمية، وإنما تقديم الموطأ كمصدر حديثي من مصادر السيرة النبوية لم يأخذ حقه الكافي من البحث والدراسة، وإن كانت هناك بعض الأبحاث التي تناولت هذا الموضوع كعنصر من عناصرها، وأشارت إلى أهمية الموطأ في كتابة السيرة النبوية المطهرة، ومن هذه الدراسات:

- **جهود المحدثين في تدوين السيرة النبوية دراسة تطبيقية على صحيحي البخاري ومسلم، وموطأ مالك**[1]: وهذه الدراسة من أقرب الدراسات لموضوع البحث هذا، حيث تناول صاحب هذه الدراسة، صحيحي البخاري ومسلم وموطأ مالك كمصادر أولية من مصادر السيرة النبوية، فهي دراسة تخدم فكرة البحث، من حيث إثبات أهمية كتب الحديث في تدوين السيرة، لكن لم تكن بصورة مركزة؛ حيث إن صاحب الدراسة تناول ثلاثة مصادر من أمهات كتب الحديث، ألا وهي حسب الترتيب الزمني (الموطأ، صحيح البخاري، صحيح

[1] عبد العزيز بو شعيب العسراوي، جهود المحدثين في تدوين السيرة النبوية دراسة تطبيقية على صحيحي البخاري ومسلم، بحث منشور، دار المنظومة.

مسلم) في بحث لم يتجاوز ثلاثًا وثلاثين صفحة، من ثم كانت الفكرة غير مكتملة، وكان الأمر موقوفًا على مجرد السرد لأرقام الروايات في كل من الموطأ والصحيحين، وإن كان الباحث لا ينكر استفادته من تلك الدراسة.

- **موطأ الإمام مالك واعتماد البخاري ومسلم على نسخ مكتوبة منه**[1]: وهذه الدراسة لها من الأهمية ما يجعل الباحث يشيد بها، وقد قام صاحب الدراسة بتوضيح كيف استفاد البخاري ومسلم من موطأ الإمام مالك، ولكن أتت دراسته في مجال علم الحديث من حيث دراسة ألفاظ التحمل والأداء، والرواة من شيوخ البخاري ومسلم عن الإمام مالك، وأقوال العلماء فيهم، ووصف للنسخ والمرويات لكل من الموطأ والبخاري ومسلم، فهي دراسة تأصيلية في علم الحديث أكثر منها توضيحًا لدور الموطأ في تدوين السيرة النبوية المطهرة محل الدراسة، وكذلك لا ينكر الباحث مدى استفادته من تلك الدراسة.

وكانت هاتان الدراستان أقرب الدراسات التي وجدها الباحث بعد البحث والتنقيب لموضوع البحث المطروح في هذه الدراسة الحالية.

خامسًا- عناصر الدراسة:

تنقسم الدراسة على تمهيد وثلاثة مباحث، التمهيد يعرض الباحث من خلاله تعريفًا بمصطلح السيرة النبوية، وترجمة للإمام مالك ولموطئه، أما المبحث الأول فبعنوان: **أهمية موطأ**

(1) محمد سعيد محمد حسن بخاري، موطأ الإمام مالك واعتماد البخاري ومسلم على نسخ مكتوبة منه، 2008.

الإمام مالك كمصدر للسيرة النبوية، والمبحث الثاني بعنوان: **محتويات السيرة في موطأ الإمام مالك رحمه الله تعالى**، والمبحث الثالث بعنوان: **إفادة كتّاب السيرة النبوية بعد الإمام مالك من الموطأ**.

التمهيد

أولا– السيرة النبوية لغة واصطلاحًا:

السيرة لغة: هي السنة والطريقة والحالة والهيئة التي يكون عليها الإنسان، قال تعالى: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه:21][1].

أما السيرة النبوية من الناحية الاصطلاحية: فهي ما نُقل إلينا عن حياة النبي ﷺ منذ ولادته حتى البعثة وما بعدها، وما تبع ذلك من وقائع وأحداث وغزوات حتى الوفاة الشريفة[2] ويتضح لنا من التعريف السابق، أن **السيرة النبوية متعلقة بحياة الرسول ﷺ منذ الولادة حتى الوفاة دون الاقتصار على مرحلة عمرية محددة للنبي ﷺ** وكذلك دون الاقتصار على جانب دون جانب، فهناك من كتب في المغازي فقط، حيث تناول جزءًا من السيرة النبوية، وهناك من تناول الشمائل فقط، ومن ثم يتضح لنا أن السيرة النبوية أعم من أن تُحصر في جانب واحد،

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، 4/ 390.

(2) ابن منظور، لسان العرب، نفسه؛ أحمد بن عثمان عزيز، مختصر السيرة النبوية لابن هشام، ص9.

حتى الأحاديث المتعلقة بالأمور الفقهية والأحكام التشريعية، إنما هي جزءٌ أصيل من السيرة النبوية، حيث إنها تمثل التطبيق العملي للتشريع وأحكام ذلك الدين القويم، وهي الغاية المثلى من السيرة النبوية، حيث التطبيق العملي وفق ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا- ترجمة الإمام مالك بن أنس- رحمه الله تعالى- (93: 179هـ/ 712: 795م):

مالك بن أنس الأصبحي الحميري، والملقب بإمام دار الهجرة – أي المدينة المنورة- حيث إنه يُنسب إلى المدينة المنورة مولدًا ووفاةً، وكانت نشأة الإمام مالك في بيت علم، حيث إن أباه كان يعمل على الرغم من شلل أصابه، وكان مهتمًا في الوقت نفسه بالعلم وطلب الحديث، وهو ما كان حافزًا للإمام مالك أن يسير في ذلك الدرب الشاق – طلب الرزق وطلب العلم معًا-[1]، حتى إن أباه ذات يوم استفزه في وجود الأخ الأكبر للإمام مالك، حيث طرح مسألة أجاد في الإجابة عليها أخوه ولم يجب الإمام مالك، فقال له أبوه: «ألهتك الحمام عن طلب العلم»[2] مما جعل الإمام مالكًا ينقطع لطلب العلم، فجلس بين يدي ابن هرمز

[1] الشيرازي، طبقات الفقهاء، 1/ 67، 68؛ والزركلي، الأعلام، 5/ 257، 258.

[2] القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، 1/ 115؛ وابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، 1/ 98

(ت148هـ)[1] مدة سبع سنوات يطلب العلم، وكان من أهم شيوخه بعد ابن هرمز ربيعة الرأي (ت136هـ)[2].

ويُعد الإمام مالك صاحب مدرسة فقهية أصيلة، كانت تتسم بأنها مدرسة النقل، على عكس الإمام أبي حنيفة النعمان (ت150هـ) صاحب المذهب والتي كانت تُوصف مدرسته بأنها مدرسة العقل والقياس[3]، حتى إن الإمام الشافعي- رحمه الله تعالى- ذكر نقاشًا دار بينه وبين محمد بن الحسن (ت189هـ) – صاحب أبي حنيفة- حيث سأل محمدُ بن الحسن الإمامَ الشافعي: «أيهما أعلم: صاحبكم أو صاحبنا؟ يعني أبا حنيفة ومالكًا، قال: قلت: على الإنصاف؟ قال: نعم، قلت: فأنشدك الله من أعلم بالقرآن؟ صاحبنا أم صاحبكم؟ قال: اللهم صاحبكم، قال: فأنشدك الله من أعلم بالسنة؟ صاحبنا أم صاحبكم؟ قال: اللهم صاحبكم، قال: فأنشدك الله من أعلم بأقاويل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المتقدمين؟ صاحبنا

---

[1] أبو بكر عبد الله بن يزيد بن هرمز الأصم، من شيوخ الإمام مالك، راوية للحديث، وقد قال فيه ربيعة الرأي: ما رأيت عالما قط إلا ابن هرمز، وكان من علماء المدينة، قال فيه مالك: أحب أن أروي عنه، وكان قليل الكلام، قليل الفتيا، شديد التحفظ، يرد على أهل الأهواء، عالما بالكلام. (الشيرازي، طبقات الفقهاء، 1/ 66؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 6/ 23 ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 6/ 379.

[2] عبد الرحمن بن ربيعة بن فرّوخ التيمي بالولاء، وأصحاب الرأي عند أهل الحديث هم أصحاب القياس؛ لأنهم يقولون برأيهم فيما لم يجدوا فيه حديثًا أو أثرًا؛ فلُقب (ربيعة الرأي)، وهو من أهم شيوخ الإمام مالك بن أنس. الصفدي، الوافي، 447/4، والذهبي، سير أعلام النبلاء، 91/6.

[3] أحمد أمين، ضحى الإسلام، ص219: 223.

أم صاحبكم؟ قال: اللهم صاحبكم...»[1] ومن خلال الترجمة الموجزة للإمام مالك يتضح لنا أنه كان مهتمًا بطلب العلم، وخاصة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ثم كانت مروياته مادة خصبة لكتابة أطهر سيرة عرفتها البشرية، ألاوهي سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

ثالثًا- تعريف بالموطأ[2]:

يجمع الموطأ بين الحديث والفقه، ولكن منحى الإمام مالك فيه إلى الحديث أكثر من الفقه، وإن كان البعض يرى أن الغرض من الموطأ هو جمع أدلة الفقه عند أهل المدينة لا ما صح عند الإمام مالك من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن ما صح عنده أكثر من الذي في الموطأ[3]، ولكن على أية حال، قد نال الموطأ شهرة كبيرة، خاصة بعد ما أراد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (ت158هـ) أن يحمل الناس على الموطأ ويجعله الكتاب الرسمي للدولة، حيث قال الإمام مالك بن أنس: «دعاني أبو جعفر أمير المؤمنين، فقال لي: يا أبا عبد الله، إني أريد أن أكتب إلى الآفاق فأحملهم على كتاب الموطأ، حتى لا يبقى أحد يخالفك

---

(1) الشيرازي، طبقات الفقهاء، 68/1.

(2) اختلف العلماء حول سبب تسميته بالموطأ، هل هو من باب التوطئة، أي التمهيد؟ حيث مهد به الإمام مالك للعلم، ويسر به حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، أم أنه من باب التواطؤ، أي الاجتماع؟ حيث اجتمع عليه علماء العصر بالقبول، حتى إننا لنجد مقال الإمام الشافعي رحمه الله: «ما في الأرض كتاب بعد كتاب الله عز وجل أنفع من موطأ مالك، وإذا جاء الأثر في كتاب مالك فهو الثريا...». أبو حاتم الرزاي، آداب الشافعي ومناقبه، 1/ 150.

(3) محمد سعيد محمد حسن بخاري، موطأ الإمام مالك واعتماد البخاري ومسلم على نسخ مكتوبة منه، ص9.

فيه»[1]، ولكن الإمام مالكًا كانت له رؤية أخرى، حيث قال: «قد رسخ في قلوب أهل كل بلد ما اعتقدوه وعملوا به، وردّ العامة عن مثل هذا عسير»[2]، وكانت طريقته في التأليف أن يذكر الأحاديث المتعلقة بالموضوع الواحد، وقد يلحق ذلك تفسير كلمة لغوية فيه[3]، كما أن الفقهاء والمحدثين تلقوا ذلك الكتاب بالقَبول والرواية عنه؛ حيث نجد أن القاضي أبا بكر بن العربي (ت543هـ) يقول عن الموطأ: «الموطأ هو الأصل واللباب، وكتاب البخاري هو الأصل الثاني في هذا الباب، وعليهما بنى الجميع، كمسلم والترمذي»[4]، وعدد الذين رووا الموطأ كثير جدًّا، حتى إن الخطيب البغدادي (ت463هـ) ألف كتابًا خصه بذكر الرواة للموطأ عن مالك، أورد فيه حوالي تسعمئة وثلاثة وتسعين راويًا[5]، ولكن على أية حال، قد نشر الرواة الموطأ عن مالك في الأمصار المختلفة، فهذا محمد بن الحسن الشيباني في العراق، ويحيى بن يحيى الليثي (ت234هـ) في الأندلس، وعبد الله بن وهب بن مسلم الفهري (ت197هـ) وعبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة (ت191هـ) وغيرهما في مصر، وأسد بن الفرات (ت213هـ) في القيروان، وغيرهم الكثير.

---

(1) ابن هبة الله الدمشقي، كشف المغطا في فضل الموطا، ص27.

(2) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 79/8.

(3) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ص228.

(4) ابن باديس الصنهاجي، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، 1/ 330.

(5) محمد سعيد، موطأ مالك، ص11.

المبحث الأول- أهمية موطأ الإمام مالك كمصدر للسيرة النبوية

تواطأت عدد من العوامل للموطأ جعلته ذا أهمية كبيرة، سواء في مجال الفقه، أو مجال الحديث، أو مجال السيرة النبوية، وهو مضمون ذلك البحث، ومن ثم يمكننا أن نحدد ما هي تلك العوامل التي جعلت موطأ الإمام مالك من أهم مصادر السيرة النبوية:

أولا- مولد ونشأة الإمام مالك في المدينة:

كان لمولد الإمام مالك بن أنس-رحمه الله- في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ونشأته بها أكبر الأثر في تكوين شخصيته العلمية، وأكبر الأثر في تصنيفه لكتابه الموطأ؛ فإن الإمام مالكًا لم يخرج من المدينة المنورة إلا حاجًّا فقط، حتى وافته المنية عام (179هـ).

إن هذه النشأة أثرت في الإمام مالك وفي ارتباطه برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جعل الله -عز وجل- المدينة له دار هجرة واستقرار، بل ووفاة، ولذا اهتم الإمام مالك بجمع ما يتعلق برسول الله ﷺ من أقوال وأفعال وصفات، ووضعها في كتابه "الموطأ" الذي يعد من أهم كتب السيرة النبوية، على اعتبار أن السيرة كما أسلفنا هي كل ما يتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم من قول وفعل وصفة خِلقية أو خُلقية.

يتضح لنا من السابق أن الإمام مالكًا -رحمه الله تعالى- من أعلم الناس برواية المدينة، حتى إنه قد قُبل تعديله للرواة المدنيين الذين خرّج لهم في الموطأ، ومن ثم كان لنشأته في المدينة أكبر الأثر في قيمة كتابه الموطأ كمصدر من المصادر الأولية للسيرة النبوية المطهرة.

ثانيًا– منهج الإمام مالك في كتابه الموطأ:

بلغ اهتمام الإمام مالك بموطئه أنه أخذ في تأليفه حوالي أربعين عامًا، حيث ذكر عمر ابن عبد الواحد (ت200هـ) –وهو من تلامذة الإمام الأوزاعي– أنه عرض الموطأ على الإمام مالك في أربعين يومًا، فقال الإمام مالك: «كتاب ألفته في أربعين سنة، تأخذه عني في أربعين يومًا...»[1]، ومن ثم كتاب يأخذ تلك الفترة من الزمن قد بلغت به العناية مبلغًا، خاصة وأن عدد روايات الموطأ التي بلغت ألفًا وثمانمئة رواية، قليلة جدًّا بالنسبة للمدة الزمنية المستغرقة، مما يدل على شدة التحري، ودقة التأليف والترتيب للأبواب والأحاديث، والتي لم تأت إلا وفق رؤية للإمام رحمة الله عليه، وهذا ما يؤكده أبو بكر عتيق بن يعقوب بن صديق الزبيري (ت228هـ) وهو كذلك من تلامذة الإمام مالك، وقد حفظ الموطأ في حياة الإمام مالك[2]، حيث قال عتيق: «وضع مالك الموطأ على نحو عشرة آلاف حديث، فلم يزل ينظر فيه في كل سنة ويسقط منه حتى بقي هذا»[3]، ولعل دقة التحري وقوة منهج التأليف، هما ما دفعا الإمام الشافعي (ت204هـ) أن يقول عن الموطأ: «ما في الأرض كتاب بعد كتاب الله عز وجل أنفع

---

[1] ابن فرحون، الديباج، 1/ 120.

[2] أبو حاتم الرازي، الجرح والتعديل، 7/ 46.

[3] ابن فرحون، الديباج، 1/ 119.

من موطأ مالك، وإذا جاء الأثر من كتاب مالك فهو الثريا»[1]، وقد تميز الإمام مالك في الموطأ أنه دوّن الأحاديث المرفوعة، وكان بعضها في أعلى درجات الصحة، ثم الموقوفات على الصحابة والتابعين، كما أورد في الموطأ آراءه الفقهية، وكذلك عمل أهل المدينة، مما أضاف للكتاب قيمة علمية.

ثالثًا- شهرة موطأ الإمام مالك دون مصنفات أخرى:

موطأ الإمام مالك يعد من أقدم المؤلفات في موضوعه، حيث إن الإمام مالكًا رحمه الله، كان من أوائل من عُرفوا بالتدوين والتأليف في الإسلام، وله مؤلفات أخرى غير الموطأ، وهو ما ذكره القاضي عياض (ت544هـ) حيث قال: «وله تآليف غير الموطأ مروية عنه، أكثرها بأسانيد صحيحة في غير فن من العلم، لكن لم يشتهر عنه غير الموطأ...»[2]، ويزعم الباحث أن سبب شهرة الموطأ في عصره، سواء دون مؤلفاته الأخرى أو مؤلفات الآخرين، أن الموطأ جمع بين الحسْنيين وهما: تحري صحة السند، وشمولية المتن على سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ذلك لأن التابعين كانوا حريصين كل الحرص على تعلم سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وفي الوقت نفسه التحري في صحة الخبر من خلال معرفة رجال السند، فأما عن الاهتمام بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم فيدل عليه قول علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه والمعروف

---

[1] القاري، علي الملا، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 44/1.

[2] القاضي عياض، ترتيب المدارك، 2/ 90.

بـ"علي زين العابدين" (ت94هـ) حيث قال: «كنا نُعلم أولادنا مغازي النبي ﷺ وسراياه كما نعلمهم السورة من القرآن»[1]، بل كان الإمام مالك رحمه الله حريصًا على أن يتعلم الناس سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك سيرة صحابته؛ لارتباط سيرتهم بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال: «صالحو السلف يعلمون أولادهم حب أبي بكر وعمر كما يعلمون السورة من القرآن»[2]، أما عن تحري السند للتأكد من صحة المتن، ففي مقدمة صحيح مسلم رواية عن محمد ابن سيرين (ت110هـ) أنه حين وقعت الفتنة[3] قال: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: **سموا لنا رجالكم**، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»[4]، وحين اشتمل الموطأ على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم من جانب، ودقة تحري السند من جانب آخر، لاقى الموطأ تلك الشهرة الكبيرة.

ويمكننا أن نضيف سببًا آخر لتلك الشهرة، هو تبع للسببين السابقين، وهو تأييد النظام الحاكم للموطأ، بل هناك بعض الروايات التي تذكر أن سبب تأليف الموطأ هو طلب من الخليفة

---

(1) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، 2/ 186.

(2) ابن عساكر، تاريخ دمشق،44/ 383.

(3) يقصد الفتن السابقة والتي كانت من مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وظهور الفرق مثل الخوارج والمعتزلة والشيعة وغيرهم.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، المقدمة، 12/1.

أبي جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين، حيث طلب منه قائلًا: «اجعل العلم يا أبا عبد الله علمًا واحدًا»[1]، بل إن الخلفاء العباسيين بعد أبي جعفر المنصور أمثال المهدي، وهارون الرشيد كان لهم الموقف نفسه من موطأ الإمام مالك، من حيث التأييدُ والرغبةُ في الانتشار، وهو ما مكن لهذا الكتاب من أن يذيع صيته، ويمكننا أن نلخص سبب انتشار الموطأ دون غيره من المؤلفات في ذلك العصر إلى ثلاثة أسباب:

السبب الأول- اشتماله على السيرة النبوية المطهرة.

السبب الثاني- تحري دقة السند.

السبب الثالث- تأييد النظام الحاكم له، وتواطؤ الظروف لنشره.

رابعًا- أسبقية موطأ الإمام مالك لكثير من كتب السيرة والحديث:

سبق الإمام مالك -رحمه الله تعالى- الكثير من كتب السيرة والمصنفات الحديثية، ولكن كتب الله تعالى للموطأ السبق على تلك المصنفات والكتب.

[1] القاضي عياض، ترتيب المدارك، 2/ 72.

ويمكننا أن نثبت سبق الموطأ في خدمة السيرة النبوية المطهرة من خلال عرض موجز لأهم مصادر السيرة النبوية السابقة للموطأ، ومن ثم توضيح أهم السمات العامة لتلك الكتب، من أجل الوقوف على ميزة الموطأ عن تلك المؤلفات السابقة عليه.

تذكر كتب التراجم والطبقات والفهارس، أن أول من ألف في السيرة النبوية هو أبان بن عثمان بن عفان (ت105هـ)، ولكن سيرته مفقودة، إذ ذكرت بعض الروايات أنه قد سلمها عام 82هـ إلى الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك في موسم الحج، وقد أضاعها سليمان[1]، كذلك من السابقين في التأليف للسيرة عامر بن شراحيل (ت103هـ) وله كتاب في السيرة يُسمى "المغازي" وهو كذلك مفقود، أما أشهر كتب السيرة ما كانت تهتم بالمغازي والتي تُنسب إلى محمد بن إسحاق (ت151هـ) حيث يقال إنه أول من ألف في المغازي[2]، ويُسمى مؤلفه بسيرة ابن إسحاق، وقد قال محمد بن شهاب الزهري (ت124هـ) حين سُأل عنه: «هذا أعلم الناس بها»[3] -أي بالمغازي-، وكذلك قال الإمام الشافعي رحمه الله: «من أراد أن يتبحر في المغازي، فهو عيل على ابن إسحاق»[4]، وقد كانت سيرة ابن إسحاق في الأصل مقسمة على ثلاثة أجزاء: المبتدأ، والمبعث، والمغازي، فالمبتدأ يتناول فيه التاريخ الجاهلي، ولا يعنى ابن

---

(1) النووي، الأسماء واللغات،97/1؛ الزركلي، الأعلام، 27/1.

(2) حاجي خليفة، كشف الظنون، 2/ 1746.

(3) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 7/2.

(4) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، نفسه

إسحاق في هذا الجزء بأسانيد أخباره إلا نادرًا، ويستقي أخباره من الأساطير والإسرائيليات، وأما المبعث، فيشمل حياة النبي صلى الله عليه وسلم في مكة والهجرة، وتراه في هذا القسم يصدّر الأخبار بموجز حاوٍ لها، ويدون مجموعات كاملة من القوائم، فتراه يذكر قائمة لمن أسلم من الصحابة بدعوة أبي بكر، وأخرى بالمهاجرين إلى أرض الحبشة وغيرها، وتزداد عنايته بذكر الأسانيد[1].

وأما القسم الثالث: وهو المغازي، فيتناول فيه حياة النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة، وقد اتبع في هذا القسم منهجًا جديدًا، حيث يبدأ الخبر بموجز لمحتوياته، ثم يتبعه بخبر من جميع الأقوال التي أخذها من روايته، ثم يكمله بما جمعه هو بنفسه من المصادر المختلفة[2]، ولكن اشتهرت سيرة ابن إسحاق حينما قام ابن هشام (ت218هـ) بتهذيبها وتنقيحها، وعُرفت بسيرة ابن هشام[3]، ولكن على الرغم من اشتهار هذه السيرة بعد ذلك وانتشارها، فإنها مفتقرة إلى صحة الأسانيد في كثير من مروياتها.

---

(1) ابن هشام، سيرة ابن هشام، مقدمة ابن هشام، ص11.

(2) ابن هشام، سيرة ابن هشام، نفسه.

(3) ابن هشام: هو عبد الملك بن هشام بن أيوب، العلامة النحوي الأخباري، أبو محمد الذهلي السدوسي، وقيل: الحميري المعافري، نزيل مصر، هذب السيرة النبوية، وسمعها من زياد البكائي صاحب ابن إسحاق، توفي سنة 218 هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، 464/8.

وكانت تلك من أشهر مؤلفات السيرة قبل الإمام مالك رحمه الله تعالى، وبالنظر إليها نجد أنها كانت مفتقرة للشمولية من جانب؛ أي تناول جميع جوانب حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن جانب آخر تفتقر إلى صحة الأسانيد التي تروى بها مرويات السيرة النبوية المطهرة، وهو ما عالجه الإمام مالك في موطئه كما بينا سالفًا.

وهذا ما جعل أحد الباحثين يقول: «إن أقدم كتاب وصل إلينا في الأحاديث، هو موطأ الإمام مالك رحمه الله تعالى المتوفى 179هـ، ولم يخل من ذكر جملة من الأحاديث فيما يتعلق بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وأوصافه، وأسمائه، وذكر ما يتعلق بالجهاد»[1].

كذلك سبق الموطأُ كتبَ الحديثِ والسيرةِ الأخرى، بعلو السند، فموطأ الإمام مالك من أعلى كتب السيرة والحديث إسنادًا، حيث إنه يحتوي على أعلى درجات الإسناد، مثال: «مالك بن نافع عن ابن عمر»، كما أنه يخلو من الأحاديث المتروكة والموضوعة.

المبحث الثاني– محتويات السيرة في موطأ الإمام مالك –رحمه الله تعالى–

حين النظر في كتاب الموطأ للإمام مالك رحمه الله تعالى، نجد أنه قد خص بعض الأبواب لرواية وقائع السيرة –نقصد هنا وقائع السيرة في غير أبواب الفقه وغيرها– وكانت هذه الأحاديث بمثابة أحاديث عمدة في أبواب السيرة النبوية المختلفة، فمنها على سبيل المثال:

[1] أبو شهبة، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، 27/1.

● كتاب صفة النبي صلى الله عليه وسلم: وهذا الكتاب قد حوى ثلاثة عشر بابًا، أورد الإمام مالك رحمه الله تعالى في ذلك الباب عددًا من الأحاديث المتعلقة بسنة النبي صلى الله عليه وسلم في الأكل باليد اليمنى، والنهي عن الأكل بالشمال، وصفة شرب النبي صلى الله عليه وسلم، كما أورد أحاديثَ تتحدث عن صفة عيسى- عليه السلام- فلربما يقول قائلٌ: وما علاقة عيسى – عليه السلام- بصفة النبي صلى الله عليه وسلم والسيرة النبوية بصفة عامة؟

يرى الباحث أن ذلك من باب اشتراك الأنبياء في بعض الصفات العامة لكل نبي، وغير ذلك من الأحاديث التي كانت مادة خصبة لمن أراد أن يؤلف في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

● كتاب أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وقد أورد الإمام مالك- رحمه الله تعالى- في ذلك الكتاب بابًا واحدًا، روى فيه حديثًا من رواية محمد بن جبير بن مطعم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب»[1].

● كتاب الجهاد: وهذا الكتاب عند الإمام مالك في موطئه يشتمل على واحد وعشرين بابًا، بداية من باب الترغيب في الجهاد، حتى باب إنفاذ أبي بكر الصديق رضي الله عنه عدة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاته الشريفة، وقد احتوى كتاب الجهاد عند

[1] مالك بن أنس، الموطأ، الأعظمي، 5/ 1461.

الإمام مالك في موطئه على عدة أحاديث كانت بمثابة الأساس لمن أراد أن يؤلف في مغازي النبي –صلى الله عليه وسلم– ومنها على سبيل المثال الحديث الذي رواه من حديث عمرو بن شعيب بسنده، أن النبي صلى الله عليه وسلم حين أتى إلى الجعرانة بعد غزوة حنين وقسم غنائم حنين[1]، وقد استدل ابن عبد البر في شرحه لهذا الحديث على أن النبي صلى الله عليه وسلم شارك في غزوة حنين، وغنم فيها، وأفاد ابن عبد البر من هذا الحديث عدة فوائد أثمرت بعد ذلك في كتابة السيرة النبوية المطهرة، ويعد كتاب "الجهاد" بالموطأ من الكتب الناجعة والمهمة جدًّا كمصدر من مصادر المغازي كجزء من السيرة النبوية الشريفة.

- نجد أن الإمام محمد بن الحسن الشيباني أحد أهم رواة الموطأ عن الإمام مالك –رحمه الله تعالى– قد بوب أبوابًا خاصة في روايته تلك، سماها "أبواب السير وغيره"، ذكر الأحاديث المتعلقة بصورة مباشرة بالسيرة النبوية، ويذكر أحد الباحثين[2] نماذج لتلك الرواية للموطأ، حيث يذكر من الأبواب التي كانت متعلقة بالسيرة النبوية في الموطأ "باب الرجل يعطي الشيء في سبيل الله"، "باب إثم الخوارج وما في لزوم الجماعة من الفضل"، "باب قتل النساء"، "باب المرتد"، "باب نزول أهل مكة والمدينة وما يكره من ذلك"، "باب الشفاعة"، "باب فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم"، (هذا الباب لا يوجد في رواية يحيى بن يحيى الليثي)، و"باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم"، وباب "قبر النبي صلى الله عليه وسلم" وما يستحب

---

[1] أخرجه مالك في موطئه برواية يحيى بن يحيى الليثي، برقم (975) 456/2.

[2] عبد العزيز بوشعيب العسراوي، جهود المحدثين في تدوين السيرة النبوية، ص21.

من ذلك، (وهو كذلك باب لا يوجد في رواية يحيى بن يحي الليثي)، ويذكر الباحث أنه بالمقارنة بين روايتي الشيباني والليثي يظهر الاختلاف الواضح بينهما في ترتيب الأحاديث ووضعها في أبواب مختلفة، فعلى سبيل المثال: حديث ابن عمر في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم رواه الشيباني في أبواب السير، أما الليثي فرواه في كتاب قصر الصلاة، وهكذا، ولكن في المجمل نجد أن هذه النماذج الحديثية في الموطأ توضح كيف أن الموطأ كان مصدرًا مهمًّا من مصادر السيرة النبوية المطهرة، جمع بين شمولية جوانب السيرة وبين دقة المنهج وصحة السند.

المبحث الثالث- إفادة كتّاب السيرة النبوية بعد الإمام مالك من الموطأ

استفاد كتّاب السير بعد الإمام مالك- رحمه الله تعالى- من موطئه استفادة لا يمكن تجاهلها، حيث إن المتأخر دائمًا يبني على ما وصل إليه المتقدم من معرفة وعلم، ومن ثم كان كتاب الموطأ بمثابة الإرهاصة[1] العلمية الأولى لمن جاء من بعده ممن ألفوا وصنفوا في كتابة السيرة النبوية المطهرة.

وهذا المبحث من المباحث المهمة، والتي تحتاج إلى دراسة متكاملة من أجل الوقوف على مدى استفادة من أتى بعد الإمام مالك- رحمه الله تعالى-

[1] الإرهاصة من الرهص، وهو تأسيس البنيان. ابن منظور، لسان العرب، 43/7.

اعتمد الكثير من كتاب السيرة وكذلك الحديث على الموطأ في كتابة الكثير من أحداث السيرة النبوية المطهرة، ولكننا في هذا المبحث نحاول تسليط الضوء، وفتح باب البحث في هذا المضمار بعد ذلك.

وقبل الولوج في كيفية الاستفادة من الموطأ في تدوين السنة النبوية المطهرة نشير أولا إلى مدى استفادة أهم مصدرين من مصادر الحديث على الإطلاق من الموطأ، ألا وهما "صحيح البخاري"، و"صحيح مسلم"؛ حيث استفاد الإمام البخاري (ت256هـ) من موطأ الإمام مالك، حيث إن الإمام البخاري- رحمه الله تعالى- علَمٌ من أعلام المصنفين في الحديث، ويعد كتابه صحيح البخاري من أشهر بل أهم كتب الحديث، واللافت للنظر أن اسم كتاب البخاري يدل دلالة قاطعة على أنه كتاب عظيم في السيرة النبوية؛ إذ إن العنوان الذي وضعه البخاري لكتابه هو "**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**"، **وهو المشهور بـ"صحيح البخاري"**، ففي هذا السفر العظيم المسمى بصحيح البخاري أكثر من سبعة آلاف حديث، تتناول الجوانب المختلفة لسيرة رسول الله ﷺ، وهو كتاب مقسم على سبعة وتسعين كتابًا، أولها كتاب بدء الوحي، وآخرها كتاب التوحيد، وما بين الكتابين كتب كثيرة تتناول سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، مثل: "كتاب المغازي"، ويحتوي على تسعة وثمانين بابًا، و"كتاب مناقب الأنصار"، ويحتوي على ثلاثة وخمسين حديثًا، و"كتاب الجهاد والسير"، ويحتوي على مئة وتسعة وتسعين بابًا، وهكذا.

ونجد أن الإمام البخاري رحمه الله تعالى، قد روى أحاديثَ من طريق الإمام مالك في موطئه؛ وذلك لأن الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- يعلم أن الإمام مالكًا -رحمه الله تعالى-

يتحرى في الرواية عن حملة الحديث، فلا يروي إلا عن من هو ثقة يصلح الاحتجاج به، حتى إن الموطأ به أسانيد قال عنها الإمام البخاري رحمه الله تعالى: إنها أصح الأسانيد، مثل: «مالك عن نافع عن ابن عمر»[1]، وبالحصر نجد أن عدد الروايات التي رواها الإمام البخاري عن الإمام مالك –رحمهما الله تعالى– ستمئة وثمان وستون رواية[2]، وهو عدد من الروايات ليس بالقليل.

كذلك استفاد الإمام مسلم (ت261هـ) من موطأ الإمام مالك؛ حيث يعد الإمام مسلم –رحمه الله تعالى– امتدادًا للإمام البخاري –رحمه الله تعالى– من حيث منهجية التصنيف، وهو التصنيف في الصحيح المجرد من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك تقارب شروط قَبول الرواية لديه مع شيخه الإمام البخاري، وكما اعتبرنا أن صحيح البخاري كتاب سيرة، فضلًا عن أنه من أهم كتب الحديث النبوي الشريف؛ وهو الواضح من عنوانه كما بينا، كذلك كان صحيح مسلم؛ حيث إن عنوان كتابه هو "**المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**"، **وهو المشهور بـ"صحيح مسلم"**، وهو عبارة عن أربعة وخمسين كتابًا، بداية من كتاب "الإيمان"، ونهاية بكتاب "التفسير"، وقد استفاد الإمام مسلم هو الآخر من موطأ الإمام مالك رحمه الله تعالى، إذ إن عدد الروايات التي رواها عن الموطأ "ثلاثمئة وتسع وثمانون رواية.

---

(1) ابن بهادر، النكت على مقدمة ابن الصلاح، 1/ 140.

(2) محمد سعيد محمد بخاري، موطأ الإمام مالك واعتماد البخاري ومسلم عن نسخ منه، ص31.

استفادة كتّاب السيرة النبوية من موطأ الإمام مالك -رحمه الله تعالى-

علماء الحديث اهتموا بالموطأ من خلال شروحهم عليه، ومن ثم أفادوا المكتبة العلمية بمجموعة مؤلفات قيمة حول الموطأ كما بينا سلفًا، كذلك كتّاب السيرة النبوية المطهرة لم يستغنوا عن الموطأ، بل كان بالنسبة لهم من أهم المصادر الحديثية إلى جانب الصحيحين في كتابة السيرة النبوية المطهرة، وإنما أقصد بكتّاب السيرة النبوية هؤلاء الذين سلكوا مسلك إسناد الروايات لا الاعتماد فقط على ما سرده الأخباريون والمؤرخون في كتبهم.

نذكر من كتّاب السيرة النبوية الذين اعتمدوا على الموطأ:

1-مغازي الواقدي (ت207هـ)[1]:

يعد كتاب المغازي للواقدي من أشهر كتب السيرة النبوية المطهرة، وهو كتاب متخصص في مغازي النبي ﷺ، وقد استعان الواقدي بموطأ الإمام مالك، واستقى منه عددًا من الأحاديث التي تتناول مغازي النبي صلى الله عليه وسلم، منها:

- غزوة الخندق"5هـ/626م":

ذكر الواقدي في مؤلفه حين الحديث عن غزوة الخندق حديثًا عن الموطأ، حيث جاء في كتاب المغازي حديث عنونه الباحث بحديث «اكفف عليك رمحك»[2].

---

[1] هو محمد بن عمر بن واقد السهمي، أبو عبد الله، الواقدي، من أقدم المؤرخين في الإسلام، ومن أشهرهم، ومن حفاظ الحديث، ولد بالمدينة، له العديد من المؤلفات، أشهرها "المغازي" والمعروف بمغازي الواقدي. ابن خلكان، وفيات الأعيان، 1/348: 350.

[2] الواقدي، المغازي، 2/ 475.

- غزوة الحديبية "6هـ/627م":

ذكر الواقدي في غزوة الحديبية -على حد تعبير الواقدي- أو ما يُسمى بصلح الحديبية[1]، حديثًا عن الإمام مالك، عنونه الباحث بعنوان «أصبح من عبادي مؤمن وكافر»[2]، وكذلك ذكر حديث[3] «نحر البدنة عن كل سبعة»[4].

- سرية الخبط "8هـ/629م":

سرية الخبط ذكرها الواقدي بذلك الاسم، وهي تُعرف كذلك بسرية "سيف البحر"، والخبط هو ورق الشجر، حيث إن السرية تعرضت للجوع الشديد فأكلوا ورق الشجر[5]، حتى أكرمهم الله -عز وجل- بحوت كبير أكلوا منه جميعًا، وقد اعتمد الواقدي على الموطأ في ذكر أحداث تلك السرية[6]، وقد عنون الباحث حديث السرية بنفس عنوان الواقدي حديث «سرية الخبط»[7].

---

(1) الواقدي، المغازي، 2/ 590.

(2) أخرجه مالك في موطئه برواية يحيى برقم (451) 192/1.

(3) الواقدي، المغازي، 2/ 614.

(4) أخرجه مالك في موطئه برواية يحيى برقم (638) 596/2.

(5) ابن منظور، لسان العرب، 280/2.

(6) الواقدي، المغازي، 774/2.

(7) أخرجه مالك في موطئه برواية يحيى برقم (1296) 625/2.

– فتح مكة "8هـ/629م":

فتح مكة من الأحداث الكبيرة والمهمة في تاريخ السيرة النبوية، وتاريخ الإسلام بصفة عامة، وقد ذكر الواقدي[1] أحداث الفتح معتمدًا على أكثر من مصدر، من أهمها موطأ الإمام مالك –رحمه الله تعالى– وقد عنون الباحث حديث الفتح في المغازي بعنوان «صب الماء على الرأس والوجهُ أثناء الصيام»[2].

– غزوة حنين "8هـ/ 629م":

ذكر الواقدي[3] غزوة حنين ضمن ذكره لمغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث الجعرانة[4].

– حجة الوداع "10هـ/ 631م":

ذكر الواقدي[5] أمورًا من حجة الوداع، معتمدًا على الموطأ في رواية عنونها الباحث تحت «حج النبي صلى الله عليه وسلم مقرنًا»[6].

---

(1) الواقدي، المغازي، 801/2، 802.

(2) أخرجه مالك في موطئه برواية يحيى برقم (651) 294/1.

(3) الواقدي، المغازي، 918/3.

(4) أخرجه مالك في موطئه برواية يحيى برقم (977) 457/2.

(5) الواقدي، المغازي، 1092/3.

(6) أخرجه مالك في موطئه برواية يحيى برقم(882) 394/1.

1- الدرر في اختصار المغازي والسير، لابن عبد البر (ت463هـ):

ابن عبد البر هو الحافظ والمؤرخ والأديب يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي الأندلسي، وهو مالكي المذهب، وممن اهتموا اهتمامًا بالغًا بالموطأ، حيث إنه شرح الموطأ في كتابه "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد"، وفي هذا الكتاب شرح الإمام ابن عبد البر الموطأ للإمام مالك، وإن كان قد خالف ترتيب الإمام مالك في الموطأ، حيث إنه قد رتبه بطريقة المسانيد، حيث أسند الأحاديث حسب شيوخ الإمام مالك-رحمه الله تعالى-[1]، وكان من مؤلفات ابن عبد البر في السيرة التي استفاد فيها من موطأ الإمام مالك-رحمه الله تعالى- كتابه "**الدرر في اختصار المغازي السير**"، وعلى الرغم من أن ابن عبد البر ذكر في مقدمة كتابه -كما أوردها الدكتور شوقي ضيف والذي قام بتحقيق مخطوطة الكتاب- أن مورده في كتابه الدرر كان معتمدًا على موسى بن عقبة (ت141هـ) في المغازي، وكتاب محمد بن إسحاق (ت151هـ) في السيرة النبوية[2]، فإنه في حقيقة الأمر لم تكن تلك هي المصادر الوحيدة لابن عبد البر في كتابه الدرر، فبتتبع الروايات الواردة في "الدرر" يتضح أن ابن عبد البر اعتمد كذلك على نقل روايات وأحداث للسيرة من التمهيد

---

[1] للاستزادة يُنظر: أبو بكر الإشبيلي، فهرسة ابن خير الإشبيلي، 75/1، وحاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، 484/1، وأبو الطيب محمد صديق خان القنوجي، الحطة في ذكر الصحاح الستة، 167/1، وترحيب بن ربيعان الدوسري، معجم المؤلفات الأصولية المالكية المبثوثة في كشف الظنون وإيضاح المكنون وهدية العارفين، 388/1.

[2] ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير، 8.

والذي هو شرح للموطأ، هذا إلى جانب الروايات التي نقلها ابن عبد البر من موسى بن عقبة وابن إسحاق عن الإمام مالك في موطئه بطريقه وسنده.

وقد تأكدت استفادة ابن عبد البر من الموطأ، لاسيما في مغازي النبي صلى الله عليه وسلم وبعض أحداث السيرة الأخرى، فعلى سبيل المثال نجد أنه اعتمد بشكل كبير في حدث صرف القبلة عن المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام بعد الهجرة على روايات الموطأ التي تناولها ابن عبد البر في كتابه التمهيد، وكذلك الروايات المتعلقة بالاختلاف في الصلاة بمكة قبل الهجرة، هل كانت إلى الكعبة أم إلى القدس، كذلك نقل عن التمهيد أخذًا عن الموطأ الفصول الخاصة بمن استشهد بغزوة بدر " 2هـ"، وذكر من قُتل وأسر من الكفار في تلك الغزوة[1].

وعلى سبيل المثال كذلك، اعتمد ابن عبد البر في مشهد تحكيم سعد بن معاذ في بني قريظة على التمهيد نقلًا عن الموطأ، وهو المشهد الذي أشار أبو لبابة إلى يهود بني قريظة إن نزلوا على أمر النبي ﷺ سيكون الموت مصيرهم، ثم تاب وندم على إشارته تلك، ومن ثم جعل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ رضي الله عنه حاكمًا عليهم، فأصدر حكمه بقتل الرجال وسبي الذراري والأطفال، وأكد النبي صلى الله عليه وسلم على هذا الحكم وأنه حكم الله تعالى، أي هذا الحكم يرضاه الله تعالى، وهو مشهد في السيرة في غاية الأهمية، إذ إن

[1] يُنظر للاستزادة: مالك، الموطأ، الشيباني، 2/ 48، وابن عبد البر، التمهيد، 8/ 50؛ وابن عبد البر، الدرر، 65: 70.

أوضاع المسلمين بعد هذا الحدث أصبحت ذات شأن كبير، وأصبح للمسلمين ثقل عسكري وسياسي كذلك[1].

وإنما هذه نماذج وأمثلة، لا يسع البحث أن نعرج عليها جميعًا، إذ إنها تحتاج إلى دراسة مستقلة، ولكن نود الإشارة إلى كيفية استفاة ابن عبد البر في كتابة السيرة النبوية المطهرة على موطأ الإمام مالك -رحمه الله تعالى- وأن استفادته من الموطأ لم تكن موقوفة على الفقه فقط.

2- **زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم** (ت751هـ):

زاد المعاد لابن القيم من كتب السيرة النبوية القيمة، حيث ذكر فيه سيرة النبي ﷺ من حيث غزواته وحياته، وبيّن هديه في معيشته وعباداته ومعاملته لأصحابه وأعدائه، ولاسمه دلالة بليغة، حيث إن مؤلفه أراد أن يشير إلى أن الزاد المطلوب لليوم الآخر هو التعرف على سيرة النبي ﷺ وتطبيقها، وقد اعتمد ابن القيم في كثير من المواضع في كتابه على موطأ الإمام مالك -رحمه الله تعالى- ولذا نذكر أمثلة ونماذج فقط للتدليل على ذلك وليس للحصر، ويمكننا أن نوضح ذلك من خلال الجدول الآتي:

[1] ابن عبد البر، التمهيد، 20/ 83: 85؛ ابن عبد البر، الدرر، 171: 190

مشهد السيرة في زاد المعاد	مصدره من الموطأ
صفة شارب رسول الله ﷺ، فعلى الرغم من ورود الكثير من الروايات في الحث على قص الشارب إلا أن مالكًا وصف كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يحف شاربه[1].	يؤخذ من الشارب حتى يبدو طرف الشفة وهو الإطار، ولا يجزه[2].
صفة سُبحة الضحى لرسول الله ﷺ[3]	حديث: كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم[4].
وصف صلاة الجمعة للنبي صلى الله عليه وسلم[5].	حديث أبي هريرة «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة...»[6].
هدي النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة السنن الرواتب[7].	حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي قبل

(1) ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، 172/1.

(2) مالك بن أنس، الموطأ رواية يحيى، المصدر السابق، 922/2، حديث رقم1642.

(3) ابن القيم، زاد المعاد، 321/1.

(4) أخرجه مالك في موطئه برواية يحيى برقم (357) 152/1.

(5) ابن القيم، زاد المعاد، 1/ 355.

(6) أخرجه مالك في موطئه برواية يحيى برقم(241) 1/ 108.

(7) ابن القيم، زاد المعاد، 1/ 418.

	الظهر ركعتين...»[1]
وصف حج النبي صلى الله عليه وسلم[2]	حديث عائشة رضي الله عنها «من كان معه هدي فليهلل بالحج والعمرة»[3]
هدي النبي صلى الله عليه وسلم في تشميت العاطس[4]	حديث عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما «كان إذا عطس...»[5]
إجلاء اليهود من المدينة إلى خيبر[6]	حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب...»[7]
أحداث غزوة حنين[8]	حديث قتاد: «من قتلا قتيلًا فله سلَبه...»[9]

(1) أخرجه مالك في موطئه برواية يحيى برقم (295) 2/ 71.

(2) ابن القيم، زاد المعاد، 2/ 108.

(3) أخرجه مالك في موطئه برواية الشيباني برقم(465) 2/ 329.

(4) ابن القيم، زاد المعاد، 2/ 399.

(5) أخرجه مالك في موطئه برواية يحيى برقم(1733) 2/ 965.

(6) ابن القيم، زاد المعاد، 281/3، 313.

(7) أخرجه مالك في موطئه برواية يحيى برقم (1584) 892/2.

(8) ابن القيم، زاد المعاد، 429/3، 67/5.

(9) أخرجه مالك في موطئه برواية يحيى برقم(973) 454/2.

هدي النبي صلى الله عليه وسلم في علاج المصاب بالعين[1]	حديث سهل بن حنيف: «...إن العين حق...»[2]

وإنما النماذج السابقة غيض من فيض من الأحاديث التي رجع فيها الإمام ابن القيم إلى الموطأ.

3- **كتاب السيرة النبوية لابن كثير** (ت774هـ):

ابن كثير هو إسماعيل بن عمر، حافظ ومؤرخ وفقيه، له العديد من المؤلفات، ومنها كتابه في السيرة النبوية المطهرة، وهو من علماء القرن الثامن الهجري، وحين كتابته في السيرة النبوية لم يسعه إلا أن يرجع كسلفه إلى الموطأ وينهل منه، هذا إلى جانب نقله عن الموطأ بوساطات، فقد أخذ السيرة من مصادر اعتمدت هي الأخرى على الموطأ، أو على من نقل عن الموطأ، وهكذا، ولكن دعونا نسلط الضوء على الروايات التي رجع فيها ابن كثير إلى الموطأ مباشرة، ومنها نقله انفراد الإمام مالك بتفضيل المدينة على مكة مخالفة للجمهور، حيث أورد الإمام مالك في موطئه حديثًا، علق عليه ابن عبد البر في التمهيد، وأثبت من خلاله تفضيل الإمام مالك للمدينة على مكة، وهو ما اعتمده الإمام ابن كثير في سيرته، حيث روى مالك في موطئه بسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله

---

(1) ابن القيم، زاد المعاد، 150/4.

(2) أخرجه مالك في موطئه برواية يحيى برقم (1678) 938/2.

عليه وسلم قال: «أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون: يثرب، وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد»[1]، وعلق ابن عبد البر بقوله: «وأما قوله صلى الله عليه وسلم تأكل القرى، فروي عن مالك أنه قال: معناه تفتح القرى، وتفتح منها القرى؛ لأن من المدينة افتتحت المدائن كلها بالإسلام»[2]، ثم أورد أقوالا للإمام مالك، يدلل من خلالها أن المدينة أفضل من مكة، وهو ما نقله واعتمد عليه الإمام ابن كثير في كتابه السيرة النبوية[3].

كذلك أفاد ابن كثير من الإمام مالك -رحمه الله تعالى- في تحديد الشهر الذي هاجر فيه النبي صلى الله عليه وسلم حيث نقل عن السهيلي عن الإمام مالك أن شهر هجرة النبي صلى الله عليه وسلم كان في ربيع الأول، وعليه أن أول سنة الهجرة يبدأ من ربيع الأول، ولكن جرت العادة والعرف على البدء من شهر المحرم، بل ورجح ابن كثير قول الإمام مالك، فقال: «ولا شك أن هذا الذي قاله الإمام مالك رحمه الله مناسب، ولكن العمل على خلافه، وذلك لأن أول شهور العرب المحرم، فجعلوا السنة الأولى سنة الهجرة».[4]

---

(1) مالك، الموطأ برواية الليثي، 882/2.

(2) ابن عبد البر، التمهيد، 170/23، 171.

(3) ابن كثير، السيرة النبوية، 284/2.

(4) ابن كثير، السيرة النبوية، 2/ 289.

وإنما الجدول التالي يوضح نماذج من إفادة ابن كثير من الموطأ:

مشهد السيرة في كتاب السيرة لابن كثير	مصدره من الموطأ
سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر[1]	حديث جابر بن عبد الله أنه قال :بعث رسول الله ﷺ بعثًا قبل الساحل فأمّر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وهم ثلاثمئة[2]
باب تاريخ خروجه عليه السلام من المدينة لحجة الوداع[3]	حديث عائشة أنها قالت: «خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حجة الوداع فأهللنا...»[4]
غزوة الخندق[5]	حديث خروج النبي ﷺ إلى الخندق[6]
غزوة تبوك[7]	حديث أبي الطفيل عامر بن واثلة أن معاذ بن جبل أخبره أنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ عام تبوك[8]

(1) ابن كثير، السيرة النبوية، 3/ 521.
(2) مالك، الموطأ برواية الليثي، 2/ 930.
(3) ابن كثير، السيرة النبوية، 4/ 215، 266، 348.
(4) مالك، الموطأ برواية الشيباني، 2/ 329.
(5) ابن كثير، السيرة النبوية، 180/3.
(6) مالك، الموطأ برواية الليثي، 976/2.
(7) ابن كثير، السيرة النبوية، 22/4.
(8) مالك، الموطأ برواية الليثي، 143/1.

آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ[1]	عن إسماعيل بن أبي حكيم أنه سمع عمر بن عبد العزيز يقول: بلغني[2] كان من آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أن قال: قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد لا يبقين دينان بأرض العرب[3]

وفي نهاية ذلك المبحث، وبعد عرض نماذج لمصادر السيرة النبوية، سواء من كتب الحديث الشريف، مثل صحيحي البخاري ومسلم، أو من كتب السيرة العامة، مثل زاد المعاد لابن القيم، أو المغازي، مثل مغازي الواقدي، أو شروح الموطأ الكثيرة والتي تحوي ثروة هائلة من المعلومات عن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وخاصة التمهيد لابن عبد البر، يتضح لنا من بعد ذلك العرض أهمية الموطأ كمصدر حديثي مهم في كتابة السيرة النبوية المطهرة.

---

(1) ابن كثير، السيرة النبوية، 471/4.

(2) قوله: بلغني هذا مرسل في "الموطأ" وموصول في الصحيحين وغيرهما عن عائشة وغيرها من طرق، وفي بعضها قالت: كان من آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أن قال: قاتل الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، لا يبقين دينان بأرض العرب، وفي رواية من حديث ابن عباس وابن عمر وغيرهما في الصحيحين وغيرهما: لا يجتمع دينان في جزيرة العرب.

(3) مالك، الموطأ برواية الليثي، 2/ 892.

النتائج:

يمكننا أن نستخلص من البحث السابق النتائج الآتية:

1. يعد موطأ الإمام مالك- رحمه الله تعالى- من أقدم المصادر الحديثية.
2. أهمية كتب الحديث بصفة عامة وموطأ الإمام -رحمه الله تعالى- بصفة خاصة في كتابة السيرة النبوية المطهرة.
3. مدى عناية العلماء على مر العصور بالشرح والتعليق والتحليل للموطأ، حتى إن الشروحات فقط تتعدى المئة شرح تقريبًا.
4. مدى استفادة كتّاب السيرة النبوية المطهرة من موطأ الإمام مالك- رحمه الله تعالى-

التوصيات:

يوصي الباحث بضرورة الاعتماد بشكل رئيس على المصادر الحديثية في كتابة السيرة النبوية؛ لأنها الأكثر ضبطًا ودقة من غيرها.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994م.
2. ابن بهادر بدر الدين، النكت على مقدمة ابن الصلاح، تحقيق: زين العابدين بن محمد، دار أضواء السلف للنشر والتوزيع، الرياض، 1998م.
3. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1971م.

4. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب،1387هـ.
5. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن هبة الله، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، 1995م.
6. ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، د.ت.
7. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطبعة والنشر، بيروت، د.ط، 1976م.
8. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر. بيروت، 1414هـ.
9. ابن منظور، محمد بن مكرم، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبدالحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، 1984م.
10. ابن هبة الله الدمشقي، كشف المغطا في فضل الموطا، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر، دار الفكر، بيروت، 1995م.
11. ابن هشام، جمال الدين عبد الملك، سيرة ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1955م.
12. أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن القنوجي، الحطة في ذكر الصحاح الستة، دار الكتب التعليمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1985م.
13. أبو بكر محمد بن خير بن عمر الإشبيلي، فهرسة ابن خير الإشبيلي، تحقيق: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م.
14. أبو حاتم الرازي، محمد بن عبد الرحمن، الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1952م.

15. أبو حاتم الرزاي، آداب الشافعي ومناقبه، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.
16. أحمد أمين، ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ت.
17. أحمد بن عثمان عزيز، مختصر السيرة النبوية لابن هشام، دار الوطن للنشر، مصر، 2017م.
18. أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1994م.
19. ترحيب بن ربيعان الدوسري، معجم المؤلفات الأصولية المالكية المبثوثة في كشف الظنون وإيضاح المكنون وهدية العارفين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد 120، 2003م.
20. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، 1941م.
21. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م.
22. الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م.
23. الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م.
24. الشيرازي، أبو إسحاق، طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1970م.
25. الصفدي، صلاح الدين خليل، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث، بيروت، 2000م.
26. عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1983م.
27. عبد العزيز بوشعيب العسراوي، جهود المحدثين في تدوين السيرة النبوية دارسة تطبيقية على صحيحي البخاري ومسلم والموطأ، بحث منشور، دار المنظومة.
28. علي الملا القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2002م

29. القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: ابن تاوت الطنجي، مطبعة فضالة، المغرب، 1965م.
30. مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، الموطأ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، الإمارات، 2004م.
31. مالك بن أنس، الموطأ برواية يحيى بن يحيى الليثي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر، د.ت.
32. مالك بن أنس، الموطأ برواية محمد بن الحسن، تحقيق: تقي الدين الندوي، دار القلم، دمشق، 1991م.
33. محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي، إتحاف السالك برواة الموطأ عن الإمام مالك، تحقيق: نشأت كمال المصري، المكتبة الإسلامية، القاهرة، 2006م.
34. محمد بن محمد أبو شهبة، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، دار القلم، دمشق، 1988م.
35. محمد سعيد محمد بخاري، موطأ الإمام مالك واعتماد البخاري ومسلم عن نسخ منه في الصحيحين، المكتبة المكية، مكة المكرمة، 2008م.
36. مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
37. النووي، أبو زكريا، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
38. الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، 1989م.